

المرأة اللبنانية في مهمة شبه مستحيلة للتغيير

اللبنانيات أمام تحدي استثمار الانتفاضة الشعبية لاعتلاء مراكز صنع القرار

وفرت الاحتجاجات اللبنانية منبرا سياسيا للمرأة في أكثر المجتمعات لا نسوية، لتعبر من خلاله عن هويتها وطموحاتها، وتقود ثورة ناعمة وسط جحافل الرجال، لكن يبقى الاختبار الحقيقي لحركة الاحتجاجات والمظاهرات، ليس فقط في دعم الرجال لمطالب النساء، ولكن في ما إذا كانت مسألة عدم المساواة التي ناضلت من أجلها اللبنانيات ستحظى باهتمام حقيقي ومناقشة جادة.

شيماء رحومة
صحافية تونسية

نزلت النساء اللبنانيات من أطراف وميادين مختلفة في مسيرات حاشدة توحدت فيها الشعارات والطموحات من أجل بناء لبنان جديد تكون فيه النساء مع الرجال والأجيال في حال أفضل كل يوم، غير أن الواقع يفرض الكثير من التحديات التي لا يبدو أنه من السهل أن تضعها اللبنانيات خلف ظهورهن، لينطلقن في طريق أخرى محفوفة بالوحد.

وكشفت هتافات اللبنانيات واللافتات التي رفعتها وكتبن عليها "لن ننتظر الثورة حتى تنتهي لكي نطالب بحقوقنا، نحن الثورة"، عن افتقار النساء في لبنان، الذي يُنظر إليه على أنه الأكثر انفتاحا في العالم العربي، إلى العديد من الحقوق، وينسحب ذلك على وضعهن القانوني بشكل عام، والمرتبطة إلى حد كبير بنظم طائفية تكورية.

لكن ما لم يتحقق بعد بالنسبة للمرأة اللبنانية ما زال كبيرا، وخصوصا في ظل استمرار الصراع بين التيارات الدينية والطائفية على اقتسام السلطة، ودون إفساح المجال للمرأة للمشاركة في عملية صناعة القرار ببلادها.

ومنحت الثورة التي اندلعت منذ 17 أكتوبر الماضي اللبنانيات أمالا كثيرة في إمكانية تغيير لبنان سياسته لمنح المرأة المشاركة الفعلية في السياسة والحياة العامة، والتخلص من سيطرة الذكور ورجال الدين على مواقع صناعة القرار في البلاد.

ميشلين حبيب
الوزيرات الست أمنا بالخروج من المستنقع السياسي المتحيز

إليانا بدر
أثبتت المرأة اللبنانية أنها قادرة على صناعة التغيير في بلادها

بارعة الأحمر
اللبنانيون يحدوهم أمل كبير بأن تشارك المرأة في صناعة القرار

وقالت الإعلامية والأديبة، ميشلين حبيب، "لطالما كانت النساء اللبنانيات كفاءات ومبدعات في مجال عملهن، كما أنهن يلعبن دورا مهما، حيويا، وفعالا في المجتمع. وقد أثبتت العديد من السيدات داخل لبنان وخارجه قدرتهن الجبارة على إنجازات ضخمة في مجال الطيران، والطب، والهندسة، وإدارة الأعمال، والصحافة والإعلام، والترفيه والتعليم العالي، والفن التشكيلي، والمسرحي، والتلفزيوني، وعلى الرغم من هذا، لم تستطع المرأة، أو الأضعف لم يُسمح لها، مع العلم بأنه حقها الدستوري والشخصي والاجتماعي، بحرق "المتراش" السياسي الذكوري في لبنان وبقي حضورها خجولا".

وأضافت حبيب في حديثها لـ "العرب"، "لكنها قالت كلمتها عندما انفجر الوضع وثار الناس ونزلوا إلى الشارع، (وأتكلم هنا عن حضور المرأة الناضج والواعي الذي يمثل المرأة اللبنانية وليس عن بعض السلوكات الشاذة وبعض التصرفات التي لا تليق بالمرأة ولا بالإنسان)، واثبتت قوتها وقدرتها وخلفتها الثقافية والوطنية العالية".

ولفتت حبيب إلى أن "تحرك الناس في الشارع أدى إلى تغييرات ولو بسيطة



الثقة إذا سقطت من يستعيدها

ولم يردع الكبت والمنع اللذان رافقا مسيرة المرأة النضالية للوصول إلى اقتناع الرجال اللبنانيين بتشارك السلطة مع النساء، من سلوكها لمسالك مختلفة أهدتها الجمعيات لفرض دورها في الحياة السياسية من دون أن يكون هناك كبح لطموحاتها من قبل الأحزاب السياسية والمحاصصات الطائفية للسلطة.

سلطة القلم

استشهدت الأحمر بتجربتها الخاصة، قائلة "من خلال عملي في الصحف اللبنانية منذ بداية التسعينيات كنت واحدة من المناضلات اللاتي حاولن انتزاع حقهن في صنع القرار، وقد حصلت على جائزة أفضل مقال في العالم العربي من خلال المقالات التي كتبت وأشهرها في جريدة النهار.. منحتني هذه الجائزة الأمم المتحدة عام 2000".

وأكدت "عملنا كان دؤوبا وصعبا في كسر التابوهات، ولم تكن نحلم يوما بأن يتورأ أغلب الشعب اللبناني ضد السلطة.. هذه الانتفاضة حلم كل اللبنانيين وأملهم الأكبر بأن تشارك المرأة في صنع القرار".

وأضافت "نحن نسعى إلى المساواة في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص بين المرأة والرجل على قاعدة تحمل المسؤولية والمشاركة في بناء مجتمع متوازن يعمل على تطوير نفسه باستمرار، لذلك حضور المرأة في الانتفاضة هو انتصار لحقوقها ولدورها الميداني في المجتمع.. وطبعاً هذا سيفنعس على دورها في اتخاذ القرار السياسي والقرارات التشريعية في مجلس النواب".

ونكرت أن "موضوع مقالها الفائز بالجائزة تحول حول التنمية ودور المرأة في بناء المجتمع"، مردفة القول "لقد تناولت مقالتي فكرة أساسية وهي أن المجتمعات العربية التي تتنافس برئة واحدة هي إذن مجتمعات تلغي نصف طاقتها ولذلك تترنح، وهذا انقراض لعملية التنمية في المجتمعات، واليوم أجسد قولتي إن المجتمع اللبناني لم يعد يتنافس برئة واحدة لذلك سيبتكن من إعادة التقدم بكامل طاقتها".

كلنا يعني كلنا ثوار بيروت

الشخصية الطائفية إلى العنف الأسري وقانون الجنسية وغيرها. وتدافع اللبنانيات منذ سنوات عن حقهن في منح الجنسية لأولادهن، إذ لا يحق للبنانية إعطاء جنسيتها لأولادها إذا تزوجت من أجنبي، ويطالبن بإقرار قانون مني موحد للأحوال الشخصية وقوانين تسهل حصولهن على حضانة أولادهن في حال الطلاق.

ولهذا لا يبدو أنه من السهل أن تقلب الثورة الموازين بين عشية وضحاها، وتكتب بفضلها اللبنانيات فصلا جديدا في طريقة مشاركتهن في السياسة والحياة العامة، بل هناك مخاوف كبيرة من أن تتحول المرأة إلى مجرد أداة يستغلها الساسة في الحراك الشعبي اللبناني ثم يتم تهميشها في مرحلة ما بعد الاقتراعات.

ويستكون أمام المرأة تحديات كبرى حتى تضمن عدم استثمار مطالبها في الترويج لنسخة من نسوية الدولة التي تصب في مصلحة رجال السياسة، لا سيما وأن بعض التجارب لسول عربية أخرى كشفت أن مرحلة ما بعد الثورة قد تهمش النساء والقضايا النسوية.

إلا أن الروائية والأستاذة الجامعية، بارعة الأحمر، ترى أن المرأة اللبنانية لعبت دورا محوريا وأساسيا في ما تسميه الانتفاضة، قائلة "هي رأيي ثورة اجتماعية قبل أن تكون سياسية".

وقالت الأحمر لـ "العرب" "منذ الاستقلال تعمل المرأة اللبنانية لتثبيت مشاركتها في القرار السياسي والاجتماعي بهدف النهوض بالمجتمع، مضيفة "أقول قرارا سياسيا اجتماعيا لأنه يؤثر على حياتها وحياة المجتمع وكانت تسعى إلى هذا الدور من خلال تعديل القوانين وتحديثها.. إلا أن النتيجة كانت خجولة حتى اليوم".

وتابعت "إلا أن اندلاع الانتفاضة تراقق مع تعاطف دور المرأة اللبنانية وترجع دور الأحزاب التقليدية المبني على حصص الطوائف وامتيازاتها".

وبينت أن دور هذه الأحزاب التقليدية تراجع بقوة، وهي تواجه رفض بين جيل الشباب، وفي تواجده رفض المجتمع اللبناني الذي يحمله مسؤولية الانهيار السياسي والاقتصادي الاجتماعي، قائلة "نحن نأمل في أن يكون من أهم نتاج هذه الانتفاضة بروز أحزاب جديدة تحمل برامج سياسية ويكون للمرأة فيها دورا أكبر، وهذا أمر بدأ يتوضح في الواقع".

التغيير"، ولفقت إلى أن "وجود المرأة أساسي جدا ليس من منطلق نسوي بحث إنما من منطلق قدرتها على التغيير وإعلاء الصوت. معا حصل منذ لحظة 17 أكتوبر حتى اليوم كرس دور المرأة وحضورها في الشارع حتى ولد شعار "الثورة أنثى".

وأضافت "حضور المرأة كان بارزا منذ انطلاق الثورة، ودور النسويات كان واضحا سواء من خلال الشعارات التي رفعت خلال المظاهرات أو عبر تشكيل مجموعة خاصة بهن والحرص على المشاركة في كافة التحركات التي كانت تجري على جسر الريح وفي وسط بيروت. كن دائما في واجهة المسيرات وأطلقن أغاني وشعارات خاصة بهن".

ومنع غياب قيادات توجه الثورة وفق أهوائها ومصالحها المرأة فرصة لتلعب دورا قياديا في تكتيكات هذه الثورة وسرديتها وتوجهها، فضلا عن ظهور منبر سياسي نسوي في أكثر المجتمعات لا نسوية.

وتابعت بدر "النساء العاديات، من طالبات وأمهات ومعلمات شاركن بالأساليب رمزية ومبتكرة من قبيل ظامرة الطنجر المتخلة في الدق على الطنجر لطرب رحيل السلطة الفاسدة، تشكلت هذه الظاهرة من أمهات لم يستطعن المشاركة في التظاهرات فشاركن من المنازل. رأينا أمهات مع أولادهن، ومعلمات علمن التلاميذ في الخيم. مشاركة المرأة كانت متصلة ودائمة، وحتى في المواجهات مع الأمن كانت المرأة في الصفوف الأمامية، وواصلت "النساء افترشن الأرض لقطع الطرقات ومنع القوى الأمنية والجيش من فتح الطريق وكنن أنا منهن".

شعار المرحلة

لكن وفقا لتأكيد بدر "كنوار على الأرض لا تعتبر وجود الوزيرات في هذه الحكومة نجاحا لأن النساء اللواتي توزرن لسن اختصاصيات في مجال وزاراتهن، لا نعلم ماذا يمكن أن تقدم الوزيرات في ظل حكومة لا تعتبر أنها تعبر عن تطلعاتنا ومطالبتنا بحكومة اختصاصيين".

وتعود أسباب عدم ثقة اللبنانيين في تشكيلة الحكومة الجديدة رغم إشراكها للمرأة في صنع القرار، إلى أن لجهل لا يرى في إعطاء اللبنانيات حقائب وزارية بؤار انفراجة في تمكين المرأة اللبنانية. فمن غير الممكن إدراك ما يعاني منه لبنان منذ عقود من نقص شديد في النساء في المناصب السياسية، إذ لطالما كان هذا البلد في أسفل جدول التمثيل البرلماني للمرأة في الشرق الأوسط.

وتتباين الآراء والقراءات للوضع الراهن، لا سيما وأن المرأة اللبنانية لا تقبع على هامش الرصيد السياسي، والمالي فحسب، بل وأيضا الاجتماعي، إذ أن مطالبها اتخذت منحى مختلفا عن مطالب نظيراتها ببعض الدول العربية التي شهدت ثورات وهبات شعبية أيضا، وذلك لأنه توجد كمية من القوانين المحجفة بحق النساء، من الأحوال

في النهج السياسي، منها استقالة الحكومة القديمة وتقليد ست سيدات حقائب وزارية مهمة في الحكومة الجديدة، وهذا أمر يحصل لأول مرة في تاريخ لبنان. مع أنه سبق أن كان للمرأة حضور مهم في الحكومة السابقة، أثبتت خلاله قدرة عالية على تحدي الصعوبات وأخذ القرارات الحاسمة مثلما فعلت الوزيرة ندى البستاني. أما ما يميز هذه الحكومة فهو أن عدد السيدات الوزيرات فيها ارتفع بشكل ملفت".

وتساءلت مستتكة "السؤال هنا، هل حصول هذا الأمر هو لتهدئة الأمور وإرضاء الناس، أو بمعنى آخر لإلهائهم بأمر أي قد لا يُكتب له العمر الطويل في الحكومات اللاحقة؟ علينا أن ننتظر ونرى".

ويبدو أن التحول الأبرز الذي أحدثته الثورة اللبنانية هو الانفصال العميق عن الهياكل السياسية القائمة والتصميم على إرساء الأسس لهياكل جديدة لا تشبه في قياداتها الحكومات السابقة، وذلك عبر جعل المرأة شريكا فعلا في تشكيلة الحكومة الحالية، لكن يبقى السؤال الذي يطرح: هل من الممكن أن تنجح المرأة اللبنانية في الانتقال من السياسة الثورية غير الرسمية إلى السياسة الانتخابية والحزبية الرسمية، وتعمل على تحقيق تمثيل حقيقي وجوهري لا شكلي صوري؟ وختمت حبيب قائلة "شخصيا، أعتقد أن خطوة كهذه، بالرغم من كل شيء، هي خطوة إيجابية وواعدة لأن السيدات المخترعات رائدات في مجالاتهن وصاحبيات اختصاص، والأهم من ذلك أن معظمهن أكاديميات. أنا أحتي الوزيرات الست لقبولهن المهمة، لأن مجرد دخول هؤلاء السيدات إلى الحكومة سيسلط الضوء على شخصياتهن وإنجازتهن ومجالاتهن، وعلى كفاءة المرأة وقدرتهن على التغيير وأخذ القرارات الصائبة، مما يعني أن هناك تغييرا تلقائيا وإيجابيا قد حصل، وهذا يمنحنا الأمل في الخروج من المستنقع السياسي المتحيز والبياني، لعل وعسى".

وتقلدت ست سيدات في الحكومة الجديدة ثلث الحقائب الوزارية، وهي: العدل، الإعلام، العمل، الشباب والرياضة، والمهجرين، وضمت أول وزيرة دفاع في لبنان وفي العالم العربي وهي زينة عكر. وقبول الإعلان عن تشكيلة الحكومة الجديدة بانتقادات واسعة عبر مواقع التواصل الاجتماعي وفي الشارع.

ويرى منظفون أن الحكومة الجديدة ليست سوى واجهة لأحزاب سياسية متحالفة في ما بينها، معتبرين أن الوزراء الجدد يمثلون الأحزاب التي ستمتهم، مستغربين وصفهم بـ "التكنوقراط".

وقالت إليانا بدر، وهي ناشطة ميدانية، إن "وجود الوزيرات في الحكومة اللبنانية مرغوب به طبعاً، ونحن مع الحضور النسائي، ولكن كيف يمكن أن تكون وزيرة العدل امرأة وهناك هذا الكم من القوانين غير العادلة بحق المرأة في لبنان".

وشددت بدر في حديثها لـ "العرب" على أن هناك "قوانين كثيرة بحاجة إلى

الرداء الناعم لحناجر الثورة

زهير قصباتي
كاتب وصحافي لبناني

لا تمييز بين جائع وجائعة... لا تمييز بين الفقراء رجالا ونساء، ولا ساحات تباعد بين الجامعات والجامعيين، بين الأمهات والآباء الذين ارتضوا الجوع لئلا يموت الحلم. والحلم هو ذاته للثورتين التوام في لبنان والعراق... الثورة ما زالت "ناعمة"، بالحناجر والشموع والدموع. لكن أنياب الفقر لا ترحم، ولا قبضة السلطة تورعت عن سحل لبنانيات في الشارع، وترهيب عراقيات بكل ما هو أسود، وراء المنطقة الخضراء.

قنابل الغاز لم تكتم أفواههن، لم يغب عن الذاكرة مشهد السلسلة البشرية، شبابت وشبان على امتداد الساحل اللبناني، يوحدهم علم واحد، ينتصر على وباء لصوص الطائفية والمذهبية الذين باتوا طبقة كاملة، سلاحها خرافة عفة تخفي كل ما هو دنيء.

طبقة الفساد يوحدنا علم النهب، وتحت لا وارع يميز بين لبنانية ولبناني، أيا تكن طاقتهما أو منزهتهما أو انتماؤهما السياسي.

اللبنانيات كالعراقيات، وحدثهن حناجر حلم بالإنصاف والعدالة، وشموع إرادة صامدة، أيا يكن الفن. في العراق يسقط ببناتق صيد... في لبنان يتجرعن مرارات العوز والخوف من الاستسلام وجحيم الهجرة، أو "تصدير" الأبناء، شبابت وشبان، لأن السلطة صماء، وكلهم تعدهم بمزيد من الألم.

وإن استرسل بعضهم في خياله، ليتهم الحكومة بمحاولة شق صفوف النوار والثارات بجزرة إغراء، عبر توزيع ست سيدات بحقائب بينها وزارتا الدفاع والإعلام، فالثارات، أمهات وشابات ما زلن يقاومن أمام طاعون الفساد والنهب، يصرخن "لا للإذلال".

الثورة أنثى؟ هل من معنى بعد للسؤال؟ اللبنانيات سيدات صالونات؟ تكفي مشاهد القمع وصراجهن، وتويجهن رجال الأمن بالسؤال الصمدية عن أمهاتهن وأخواتهم اللواتي طوقن جدار العزل في بيروت... عزل الشعب عن ممثله الخائب.

بيروت أنثى أم ذكراً؟ أم الثورة واللبنانيات، هل يجدي الجواب؟ إنه جيل ما بعد الحرب الأهلية وأمراضها وأعراضها، وفي العراق جيل ما بعد إطاحة الدكتاتورية.

في الثورتين التوام، الصمدية واحدة، لبنانيات يقاومن اغتيال الحلم وسحق الأمل، وعراقيات يتجران على طلب المحاسبة والعدالة بعد سنوات طويلة على استبدال جوقات التضليل والنهب بالدكتاتورية.

ببنادق الصيد أو قنابل الغاز وقبضة القمع الذي يكشف تحكم الربيع بالسلطة، الثورة فصول، وحناجرها وقبضتها لا تموت. صحيح أن بين اللبنانيات ممن تبؤان مناصب عليا من الإدارات الحكومية والقضاء، من تورطن بالفساد والإفساد، لكن الغالبية لا يحجب نهر عطاء لدى الغالبية ممن ارتضين الجوع وانتفضن على الإذلال.

ولكن، وكما انتفضت السلطة على ما يتنابها من رعب الحناجر، كلما ازداد الخوف من الاتي... يوم تخلع الثورة رداها الناعم.